جمهورية مصر العربية	١١ ربيع أول ١٤٤١هـ□
وزارة الأوقاف	٨ نوفمبر ٢٠١٩م

(١)

صور مشرقة من حياة الصحابة
(رضي الله عنهم)

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعـــد :

فإن الله (سبحانه وتعالى) اصطفى أنبياءه ورسله (عليهم الصلاة والسلام) من خلقه ، قال تعالى : {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النّاسِ إِنّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}، واختار سبحانه لرسله من يعاونوهم على بلاغ رسالات ربهم ، فكان أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) بحقٍّ رجالاً أصفياء ، وصحابةً أخيارًا ، آمنوا به ، وعزروه ، ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه ، يقول عبد اللَّهِ بن مسعود (رضي الله عنه) : "إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَاخْتَارَ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وسلم)، فَبَعَثَهُ بِرِسَالَاتِهِ ، وَانْتَخَبَهُ بِعِلْمِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بَعْدَهُ، فَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابَهُ ، فَجَعَلَهُمْ أَنْصَارَ دِينِهِ ، وَوُزَرَاءَ نَبِيِّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَمَا رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ حَسَنًا ، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ ، وَمَا رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ قَبِيحًا ، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ قَبِيحٌ " .

فكانوا (رضوان الله عليهم) أصدق الناس إيمانًا ، وأكثرهم علمًا ، وأدقهم فهمًا، وأحسنهم عملاً ، حملوا راية الدين إلى أرجاء الدنيا ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، فبلغوا رسالة ربهم أحسنَ ما يكون البلاغ ، فاستحقوا أن يكونوا اصطفاء الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم) ، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال في قول الله تعالى : {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى}: أصحاب محمد (صلى الله

عليه وسلم) ، اصطفاهم الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم) ، فهم من استقوا منهج الإسلام من نبعه الصافي ، ولم يحيدوا عن طريقه المستقيم .

ولقد حفلت حياتهم بالعديد من الصور المشرقة التي جسدت التطبيق العملي لصحيح الإسلام ، منها : **الرحمة** ، فلقد غرس النبي (صلى الله عليه وسلم) في أصحابه خلق الرحمة ، ومن ذلك ما كان من سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين رآه عيينة بن حصن يومًا يقبل أحد أبنائه ، وقد وضعه في حجره ، فقال عيينة: أتُقبِّل وأنت أمير المؤمنين؟ لو كنت أمير المؤمنين ما قبلت لي ولدًا ، فقال عمر (رضي الله عنه) : فما أصنع إن كان الله نزع الرَّحْمَة من قلبك؟ إنَّما يرحم الله من عباده الرُّحماء ، وفي هذا الموقف تأسى سيدنا عمر (رضي الله عنه) بما كان من النبي (صلى الله عليه وسلم) مع الأقرع بن حابس ؛ حيث قبَّل النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أمامه سيدنا الْحسنَ بنَ عَليٍّ (رضي اللَّه عنهما)، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشرةً مِنَ الْولَدِ مَا قَبَّلتُ مِنْهُمْ أَحدًا، فنَظَر إِلَيْهِ رسولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم)، ثم قال : (مَن لا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ) .

كما كانوا (رضوان الله عليهم) أمثلة تُحتذى في **العفو والتسامح** ، ومن أرقى الصور وأعلاها ما كان من سيدنا أبي بكر (رضي الله عنه) ، في عفوه عن مسطح بن أثاثة ، فقد كان الصديق (رضي الله عنه) ينفق عليه لقرابته منه وفقره ، وكان مسطح ممن تكلموا في حق السيدة عائشة (رضي الله عنها) ، فلما أنزل الله براءتها ، أراد أبو بكر (رضي الله عنه) أن يمتنع عن الإنفاق على مسطح ، فأنزل الله تعالى قوله : {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ، فقال الصديق (رضي الله عنه) : بلى ، والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، وأعاد الإنفاق على مسطح قائلا : والله لا أنزعها منه أبدًا .

ومنها : **علو الهمة والتنافس في فعل الخيرات** ، فقد تعلم الصحابة (رضوان الله عليهم) من النبيّ (صلى الله عليه وسلم) علو الهمة، والتنافس في فعل الخيرات، وطلب معالي الأمور ، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (...إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ – أُرَاهُ – فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ) ، وهذا ما جعل الصحابة الكرام يتطلعون لمعالي الأمور في كل شيء ، يقول سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) : (أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي ، فَقُلْتُ : الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا ، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) ، قُلْتُ : مِثْلَهُ ، قَالَ : وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قَالَ : (أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ : لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أبدًا) .

وهذا الصحابي الجليل كعب الْأَسْلَمِي (رضي الله عنه) ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) لِي: (سَلْ) ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ : (أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ) ، قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ ، قَالَ : (فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ) .

ومنها : **الإيثار والعفة** ، لقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في الإيثار ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، قَالَ : أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَصَابَنِي الجَهْدُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَلاَ رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، يَرْحَمُهُ اللَّهُ؟) ، فَقَامَ رَجُلٌ

مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، لاَ تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا ، قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ العَشَاءَ ، فَنَوِّمِيهِمْ ، وَتَعَالَيْ ، فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ ، وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ ، فَفَعَلَتْ ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ – أَوْ ضَحِكَ – مِنْ فُلاَنٍ وَفُلاَنَةَ) ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) : {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} .

وفي موقف رائع يجمع بين الإيثار الذي كان عليه الأنصار (رضي الله عنهم) ، والعفة التي كان عليها المهاجرون (رضي الله عنهم) ، يعرض سيدنا سعد بن الربيع (رضي الله عنه) على سيدنا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْن عَوْفٍ (رضي الله عنه) أَنْ يُنَاصِفَهُ مَالَهُ ، فَقَابلَ سيدنا عبد الرحمن (رضي الله عنه) بكل تعفف ، وطلب منه أن يدله على السُّوقِ ، وتاجر واجتهد حتى صار من أغنى أغنياء المدينة .

ومنها : **الرجوع للحق** ، لقد كان الصحابة (رضي الله عنهم) حريصين على الحق ، ولا يستكبرون على الرجوع إليه ، فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ (رضي الله عنه) ، قَالَ : كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي ، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا : (اعْلَمْ ، أَبَا مَسْعُودٍ ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ) ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ ، فَقَالَ : (أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ) ، أَوْ (لَمَسَّتْكَ النَّارُ) .

ومنها : **الوفاء بالعهد** ، فلقد غرس النبي (صلى الله عليه وسلم) في نفوس أصحابه قيمة الوفاء بالعهد ، وحثهم على الالتزام به ، فهذا سيدنا معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) عمليًّا ؛ فقد كان بينه وبين الروم عهد ، ففكر معاوية (رضي الله عنه) أن يخرج على مقربة من حدود الروم ، فإذا انتهى الموعد باغتهم ، فلحق به رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وهو يقول : الله أكبر ، الله

أكبر ، وفاء لا غدر ، فنظروا ، فإذا عمرو بن عبسة (رضي الله عنه) ، فأرسل إليه معاوية (رضي الله عنه) ، فسأله ، فقال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) يقول : (من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدّ عقدة ، ولا يحلّها حتّى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء)، فرجع معاوية (رضي الله عنه) .

أقولُ قولِي هذا ، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ .

❀ ❀ ❀

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه ، اللهُمَّ صَلّ وسلمْ وَبارك عليهِ ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إلىَ يومِ الدِّين .

إخوةَ الإسلام:

لقد كان الصحابة (رضوان الله عليهم) أسوة طيبة في **إعمار الدنيا بالدين** ، فقد كان لكل واحد منهم عمل يقوم به ، ويحسنه ويتقنه ، فكان منهم التاجر ، والقائد ، وحامل العلم ، وغير ذلك ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَشَدُّهَا فِي دِينِ اللهِ عُمَرُ ، وَأَصْدَقُهَا حَيَاءً عُثْمَانُ ، وَأَعْلَمُهَا بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَأَقْرَؤُهَا لِكِتَابِ اللهِ أُبَيٌّ ، وَأَعْلَمُهَا بِالْفَرَائِضِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ) .

وكانت لأعمال الصحابة (رضي الله عنهم) ثمراتها الطيبة ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يشجعهم ، ويذكر كل واحد بأحسن ما يتقن ، إكراما له ولعمله ، ومن ذلك ما كان من سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) يوم تَبُوك ، حيث دخل على النبيّ (صلى الله عليه وسلم) ، وَمعه أَلْفُ دِينَارٍ، فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا أَبَدًا) .

ومنها : **تحري الحلال، ومراقبة الله تعالى في الأمور كلها** ، ومن ذلك ما كان من سيدنا جرير بن عبد الله (رضى الله عنه)؛ حيث أمر خادمه أن يشتري له فرسا فاشترى له فرسا بثلاثمائة درهم، وجاء به وبصاحبه ليدفع له الثمن، فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمائة درهم، أتبيعه بأربعمائة درهم؟ قال: ذلك إليك، فقال: فرسك خير من ذلك، أتبيعه بخمسمائة درهم؟ ثم لم يزل يزيده مائة فمائة إلى أن بلغ ثمانمائة درهم، فاشتراه بها، فقيل له في ذلك، فقال : إني بايعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على النصح لكل مسلم) .

فكان كل واحد منهم يعرف ما عليه فيؤديه ، ولا يتجاوز ما له ، ولقد ولى سيدنا أبو بكر (رضى الله عنه) سيدنا عمرَ بن الخطاب (رضى الله عنه) القضاء ، فمكث سيدنا عمر (رضي الله عنه) سنةً ، لا يتقدم إليه أحدٌ ، وعندها طلب من الصديق (رضي الله عنه) إعفاءه من القضاء ، فقال : أمن مشقة القضاء تطلب الإعفاء يا عمر؟ قال عمر (رضي الله عنه) : لا يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ ولكن لا حاجة بي عند قوم مؤمنين ، عرف كل منهم ما له من حق ، فلم يطلب أكثر منه ، وما عليه من واجب ، فلم يقصر في أدائه ، أحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه ، إذا غاب أحدهم تفقدوه ، وإذا مرض عادوه ، وإذا افتقر أعانوه ، وإذا احتاج ساعدوه ، وإذا أصيب عزوه وواسوه ، دينهم النصيحة ، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ففيمَ يختصمون؟ ففيمَ يختصمون؟ .

ألا ما أحوجنا إلى العودة إلى أخلاق هذه النماذج الصالحة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، والتخلق بأخلاقهم ، وإظهار الصورة الصحيحة لدين الإسلام ، دين الرحمة ، والسماحة ، والإنسانية ، والسلام للناس أجمعين .

(اللهم احفظ علينا بلدنا ووطننا وشعبنا وجيشنا وشرطتنا، واجعل مصر سخاء رخاء وسائر بلاد العالمين)